

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
رَوَاهُ مُسْلِمٌ

البناء العلمي

البناء العلمي

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسي الثاني

الأداب والأخلاق

د. عبدالعزيز السدحان

الدرس السابع



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابتہ أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

◆ كيفية التعامل مع المصائب، فهل من توطئة -فضيلة الشيخ- عن المصائب وأسبابها وما يتعلق بذلك؟.

- هذه الدنيا كما قال الله تعالى عنها: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، فالإنسان يُكابِد نفسه ويُكابِد أهل بيته، ويُكابِد أصحابه، ويُكابِد من يتعامل معه، وهكذا تستمر الحياة والناس في إقبال وإدبار، وارتفاع وانخفاض، وجهاد لبعضهم بعضًا، وهلمَّ جرًّا.
- ولا تصفو الحياة لأحدٍ، ومَن يرى في حياة الناس أو في حياته شخصيًا تمرُّ عليه ساعات أتراح وساعات أفراح، وساعات آلام وساعات آمال، وسبحان الله! فهذا من حكمة الله تعالى، ولو كانت الحياة على سَنَنِ واحدة فلن تصفو لأحدٍ؛ ولأنَّ الإنسان لن يعرف الراحة إلا إذا سمع عن الخوف، ولا يعرف طعم الصحة إلا إذا رأى من ابتُلِيَ، وهلمَّ جرًّا.
- ولكن في الجنة هناك الحياة الأبدية السَّرمديَّة لها وضعٌ وشأنٌ آخر، جعلنا الله والجميع من أهلها.

- شاهد القول: أنَّ للمصائب أسباب، وبعض الناس يفتقد الرِّبط بين المصيبة والسبب، أو يفتقد أن المصائب لها أسباب، يظن إذا جاءت المصيبة أنه ليس لعمله القلبي ولا الجوارح أي تعلق بها، وهذا خلاف الصحيح.

❖ السبب الأول من أسباب وقوع المصائب: قد تكون المصيبة عقوبة مُعجَّلة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ

مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ونفهم من هذه الآية ومن مثيلاتها أنَّ المصيبة قد تكون بسبب المصاب بنفسه.

❖ السبب الثاني من أسباب وقوع المصائب: أن تكون المصيبة كفارة لذنوبٍ سالفة قد ينساها العبد،

ولكن الله لا ينساها، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^١، فهذه المصيبة قد تكون كفارة للعبد، وجاء في الحديث: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^٢، ومن الخيرية: تكفير الذنوب التي نسيها العبد.

❖ السبب الثالث: أن تكون المصيبة رفعة للعبد، وبعض الناس يقول كلمة لا تصح عقديًا، فإذا أُصيب

شخص بمرض يقول: "والله ليس من حقه، ولا يستحق هذا الشيء!" لأنهم ربطوا أن المصيبة لا تكون إلا عقوبة!

- والصواب أنَّ المصيبة قد تكون رفعة لصاحبها، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ

مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاةُ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ زَادَ ابْنُ نُفَيْلٍ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ اتَّفَقَا حَتَّى يَبْلُغَهُ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»^٣، فهذه المصيبة قد تكون سببًا لترقية العبد إلى منزلة في الجنة لا يبلغها بعمله، فسلط الله عليه المصيبة حكمةً ورحمةً حتى يفوز بهذا المقعد، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ وَتَفَقُّتِكَ»^٤.

- ونرى في بيوتنا مسيئين ومسيئات لا يفتر لسانهم عن ذكر الله تعالى، ويحمدون الله على كل حال، ومع ذلك تجدهم من مرضٍ إلى مرضٍ، فيُقال من باب الظَّن الحسن والتَّفَاوُل لهم: إِنَّ هَذِهِ الْبَلَايَا الْمُنَوَّعَةُ لِهَؤُلَاءِ -ولغيرهم- إِنَّمَا هِيَ رَفْعَةٌ لِمَنَازِلِهِمْ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ.

- وهذه المصائب التي تقع على آحاد الناس أو على جماعاتهم يختلف الناس في طرق التَّعامل معها، مثل الامتحان الدراسي، أو المرض، شخص عند إجراء عملية؛ تجد الناس في قلق وفي فزع وخوف وإحباط وقنوط، وكل ما كُلِّم أغلق الباب، كل ما يطلب منه أحد أن يتفاهل تجده يتشائم؛ فهذا في الحقيقة لو كان مرضه صغير قد يتضاعف المرض بالحالة النفسية، بينما آخرون قد يكون عند مرض خطير ومُقرَّر لهم عملية وتجد عندهم من التفاؤل

^١ صحيح البخاري (٥٦٤١).

^٢ صحيح مسلم (٩٢٢٢).

^٣ أخرجه أبو داود (٣٠٩٠)، وأحمد (٢٢٣٩٢) واللفظ له، صححه الألباني.

^٤ صحيح الجامع للألباني (٢١٦٠)، وأخرجه البخاري (١٧٨٧)، ومسلم (١٢١١) بلفظ وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ.

وحسن الظن وكثرة الدعاء يختلف اختلافاً جذرياً عن سابقهم، وهذا يؤثر تأثيراً نفسياً وتأثيراً جوارحياً، فهذا قد نُعْنُون له بعنوان: "كيفية التعامل مع المصائب"، ونقسم هذا التعامل إلى قسمين:

- تارة يكون التعامل مع المصيبة مُخَفِّفاً لها مع عظيم أجر صاحبها.
- وتارة يكون التعامل مع المصيبة مثقلاً لها ومضاعفاً لها مع عظيم وزر صاحبها.

• وقيدتُ بعض النقاط في كيفية تعامل الإنسان مع المصيبة حتى يُخفف هذا المصاب ويحصل الأجر له:

✓ **الأمر الأول:** حسن الظن بالله تعالى، قال تعالى في الخبر القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنَّ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»^٥، ولو جعل المصاب نصب عينيه هذا الحديث مع قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩]، وحديث: «لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدَهَا»^٦ تخفف عليه كثير من المصائب.

✓ **الأمر الثاني:** أن يتذكر هذا المريض أو هذا المصاب أو هذا المبتلى أن الله تعالى أرحم به من أمه وأبيه، ومن صاحبه وأخيه، ومن فصيلته التي يؤوي، ومن في الأرض جميعاً، كل هؤلاء الخلق لو اجتمعت رحمتهم فالله تعالى أرحم بهذا العبد من جميع الخلائق به، فهذا يُخفف المصيبة، فإذا علم أن الله قادرٌ وأحسن ظنه بالله، وتخيل سعة رحمة الله، وتذكر قول الله -جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِثَّةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ»^٧، فإذا تذكر هذا زاد يقينه بالله.

◆ **كيف يكون حسن الظن بالله واقعياً، وما هي أساليبه العملية؟.**

○ **الأمر الأول:** من حسن الظن أن تعلم أن الله تعالى حكيم، لا يختار للعبد إلا الخير، حتى قيل: لو وُضعت الأقدار كالأعواد وقيل للعبد اختر، فقد يختار شيئاً لا يصلحه، فالله تعالى لا يختار للعبد إلا أحسن الأقدار، وحسن الظن بالله أن تعتقد أن الله ما صرفك إلا رحمة بك، فتزداد حباً لله وطواعيةً وتسليماً لقضاء الله وقدره.

○ **الأمر الثاني:** فلو أن الإنسان ابتلي بمرضٍ فجأة فعليه أن يحسن الظن بالله، هل ظلمك الله؟ معاذ الله! ربما ابتلاك بهذا المرض ليصرفك عما هو أعظم، وربما ابتلاك ليضعف أجرك، وإذا أحسن العبدُ الظنَّ بالله أصبح يُناجي الله بلذةٍ وحلاوةٍ لا يعلمها إلا مَنْ ذاقها أو رأى مَنْ ذاقها.

○ **الأمر الثالث:** أن يصبر ويحتسب، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ»، قال: "كله" ولم يقل: "بعضه"، ولكن بشرط: «إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»، ثم جاء التأكيد مرةً أخرى بقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ

^٥ أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، والدارمي (٢٧٣١)، وابن حبان (٦٤١) واللفظ له.

^٦ أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

^٧ أخرجه البخاري (٦٠٠٠) واللفظ له، ومسلم (٢٧٥٢).

إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ؛ لأنه يعرف أن هذا من قضاء الله، ويحسن الظن بالله، وأنها من حكمة الله؛ فيزداد الله شكرًا عند المسرّات، ويزداد الله صبرًا واحتسابًا عند المكروهات والمصائب.

○ **الأمر الرابع:** استعمال الألفاظ الشرعية عندها، والابتعاد عمّا جاء به التحذير من الألفاظ الأخرى، قال

تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، فبعض الناس يلهج

لسانه بهذه العبارة عند المصيبة، عظمت أو دقت، يلهج لسانه في كل حال.

● وجاء التخصيص بألفاظ يُقاس عليها ما شاكلها، كما جاء في الحديث: «فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^٨، فـ "لو" مفتاح صغير لباب من الشر كبير، فدائمًا نقول: "اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي"، "إنا لله وإنا إليه راجعون"، أو دعاء عام "اللهم ثبت قلبي، اللهم صبرني، اللهم أعني".

● فائدة: كلمة "لو" بعض الناس يمنعها على إطلاقها، وهذا ليس بصحيح، وإنما "لو" تنقسم إلى أقسام أربعة:

★ **الأول:** يأتى صاحبها: إذا اعترض على قضاء الله، كان يقول: لو أنني ما سافرت لما وقع الحادث.

★ **الثاني:** يأتى صاحبها عند تمني فعل الشر، كأن يقول: لو أنني عندي مال لطبعت كتبًا تحارب السنة والتوحيد.

★ **الثالث:** إذا تمنى فعل الخير، كأن يقول: لو أنني عندي مالًا لبنيت مسجدًا، أو لأطعمت الفقراء والمساكين.

★ **الرابع:** لا أجر فيها ولا وزر، كأن تقول لصاحبك: المسجد من ها هنا، ولو أتيت من الطريق الثاني لكان أقرب، فهذه لي فيها اعتراض ولا فيها تمني فعل الشر أو الخير.

★ **الخامس:** تذكر كثرة نعم الله عليك.

★ **السادس:** تذكر من هو أعظم مُصائبًا منه، فإذا أصيب الإنسان في قدمه بكسر أو جرح، ثم رأى في المستشفيات من فقد قدميه، وهناك كتاب اسمه "دع القلق وابدأ الحياة"، ألفه مؤلف فرنسي اسمه داييل كارنجي، والشيخ ابن السعدي هدّبه واختصره في كتابه "الوسائل المفيدة للحياة السعيدة"، وما في كتاب داييل كارنجي في الغالب يوافق الفطرة، وأذكر فيما قرأت فيه أنه دخل مستشفى وكان قد أصيب في قدمه ويمسك عكازًا، وكان يمشي في الحديقة كل يوم، وكان يتألم في مشيه من الجبس وينظر للحياة بنظرة سوداوية متشائمة، فرأى في نفس الحديقة شخصًا يدفع شيخًا في عربة؛ لأنه قد فقد قدميه ويضحك، فنظر له وقال: هذا يضحك وقد فقد قدميه، وأنا متشائم ومعني قدم سليمة وقدم الثاني تُعالج! فالإنسان يتذكر من هو أعظم منه مصائبًا.

^٨ صحيح مسلم (٢٦٦٤).

- من رأى مَنْ هو أعظم منه مصابًا خَفَّتْ عنه المصيبة، وصاحب الطاعة إذا رأى مَنْ هو أعظم منه طاعة نشط وسأل الله الزيادة، فإذا رأى مَنْ هو أقل منه حمد الله وما شمت، فانظر في الطاعات إلى مَنْ هو أعلى منك لتندشط وترتقي، وإذا رأيت من هو أقل منك لا تزدريه؛ بل احمد الله، واسأل الله له التوفيق، وانشط أنت في عبادتك.
- هناك أسباب تجعل المصيبة الصغيرة تكبر، والوزر يعظم، بعكس الأول، فالأول أن المصيبة الكبيرة تصغر مع عظيم الأجر إذا تعامل معها بالتعامل السابق ذكره، وبعض الناس يتعامل تعاملًا مع المصيبة الصغيرة يجعلها تكبر ويحمل الوزر، ويقل أجره أو ينعدم.

• فتارة يكون التعامل مع المصائب مضاعفًا لها مع وزر صاحبها، وهذا لأسباب:

- **الأول:** سوء الظن بالله، وما يصاحبه من جزع وتسخط، وكثرة التشاؤم، فهذا -نعوذ بالله- لم يحسن الظن بالله، وما تأدب مع الله -جَلَّ وَعَلَا- في هذا الأمر وتشاءم، وهذا التشاؤم قد يفتح عليه أبوابًا من الشر الحسي والمعنوي، والمصيبة ستعظم وأجره سيخف وقد ينقلب الأجر إلى وزر.
- **الثاني:** الاعتراض على قضاء الله وقدره، وكما تقدّم أن الألفاظ الشرعية هي المطلوبة، وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "كان إذا رأى ما يُسرُّ به قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»، وإذا رأى شيئًا مما يكرهه قال: «الحمد لله على كل حال»".^٩

• من الألفاظ التي تُقال عند المصائب:

- ✓ إنا لله وإنا إليه راجعون.
- ✓ قدر الله وما شاء فعل.
- ✓ الحمد لله على كل حال.

- **ثالثًا:** التأخر عن الطاعات، مثلًا: شخص مُصاب بمرض في قدمه، تجده لا يصلي الفرض إلا متأخرًا، وأولى ما يستعين به المريض بعد الله هو الطاعات والفرائض، وإذا كان الإنسان يتأخر عن الفرائض فلا شك أنه يترك الأذكار الشرعية والدعاء والنوافل. ويُقال: هذه المصيبة كان للشيطان فيها نصيب، فثقل عليك بعض الفرائض!

- **رابعًا:** كثرة ذكر المصيبة تشكيًا، وأذكر الشيخ عبد الله بن جار الله أحد مشايخي وممن له فضل عليّ بعد الله، رحمه الله وأسكنه الله جنّته وبارك في ذريّته، وهو من أجب ما رأيتُ من الناس، فإذا سألتَه عن أحواله قال: إخبارًا لا شكوى...، ثم يبدأ بالحديث، ما تضرّج ولا اكفرّ، فهذا هو الشيخ عبد الله أكبر مَيَّ سنًا وأكبر مَيَّ علمًا وقدرًا، ومحبةً عند الناس، ومع ذلك مبتلى ومصابر ومحتسب، وهذا الشيخ عبد الله بن جار الله له عليّ فضل بعد الله في توجيهه ونُصحه، بل في قدوته الفعلية والقولية، وفي صبره وعدم تشكيه أمام طلابه؛ فهذا مدرسة.

^٩ أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، والطبراني في ((الأوسط)) (٦٧٧/١)، والحاكم (٣٧٥/٦) باختلاف يسير، صححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٤٠).

◆ بعضهم يتشكى ليس من باب التَّضَجُّر، مثل مقولة الشيخ عبد الله بن جابر الله -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- "إخبارًا لا شكوى"؛ فهل فيه إشكال؟

- نعم، الفرق بين المشاعر أثناء الكلام والعبارات المصاحبة، تجد من يقول لك: إخبارًا لا شكوى، أنا دائمًا في نكد، وأنا دائمًا في ابتلاءات...، هذا شكوى وتضجُّر.
- ولكن قول الشيخ عبد الله بن جابر الله كان: إخبارًا لا شكوى، الحمد لله الألم لم ينقطع، وأخذ علاجًا يؤثر عليّ، والله يعينني على الصبر، ويرزقنا الاحتساب. فأنت تسمعه وتقول: الله يعين الشيخ عبد الله! فهنا الشيخ يذكر حاله بكل ثقة وتؤدة، ولا ترد في عباراته عبارات تجزُّع وتسخُّط، وإنما تشكُّر واحتساب وصبر.

✦ من ثمار المصائب:

- ✦ **أولاً:** زيادة ترسُّخ عز الألوهية في شأن المبتلى، فيعرف أن هذه المقادير بيد الله تعالى، وأنه لا يستطيع أحد أن يُدبِّر أو يُؤخِّر أو يتصرف إلَّا الله -عزَّ وجل- فهذا توحيد ألوهية وربوبية.
- ✦ وكما قال أهل العقيد: جميع آيات توحيد الربوبية التي ذكرها الله نصها ومفهومها ولازمها توحيد الألوهية.
- ✦ **ثانيًا:** زيادة ترسُّخ ذل العبودية، فالمتكبر ينكسر كبره، والمتعاضم يتخاذل، والمتفاخر ينخزل، وهلم جرا، فإنسان يرى نفسه أقوى الناس وأعظمهم ويتكبر، فإذا أصابه المرض سقط على الفراش، فإن كان ممن وفقه عرف ضعف الإنسان وهوانه إذا تعاضم على الله، ويعرف حقيقة نفسه أنه مهما بلغ في الجاه والمال أنه ذليل بعز الله تعالى.
- ✦ **ثالثًا:** أن المصائب قد تكون من أبواب الخير، كلجوء العبد وافتقاره إلى الله، هناك أناسٌ كان فيهم قسوة وفيهم غلظة، وملتوئين بالمعاصي ومظالم الناس والعقوق؛ فلما أُصيبوا استكانوا، وكانت المصيبة طريق ممهِّد يسلكونه بعد شفائهم، فكانت خيرًا لهم.
- ✦ **رابعًا:** كثرة التضرُّع لله تعالى، فبعض الناس قد لا يدعو، ولكن لما مرض أصبح لسانه لا يفتر عن الدعاء، فهذا خيرٌ له.
- ✦ **خامسًا:** ترويض النفس على الإيمان بقضاء الله وقدره، فبعض الناس يتألم من القضاء والقدر، فإذا وطَّن نفسه وعلم أن هذا المصيبة من قدر الله، وأنه لو اجتمع الإنس والجن والملائكة وكان بعضهم لبعض ظهيرًا لم يستطيعوا تقديمه أو تأخيرها، ولا كشف الضر ولا تحويله، فهم لا يكشفون الضر ولا يُمكنهم تحويله من مكان إلى مكان إلا بإذن الله.
- ✦ **سادسًا:** معرفة قدر نعمة العافية، فالإنسان لا يعرف قدر النعمة إلَّا إذا فقدها، أو رأى من فقدها -إذا وفقه الله.
- ✦ يقول أحد الفضلاء زرتة قبل أيام وقد أصيب في قدمه، فقال: والله كل من زارني أنظر لأقدامه، وأنا عمر فوق الخمسين وما فكَّرتُ في قدمي قبل ذلك، ولكن لما أصبتُ ورأيتُ الناس يمشون وأقدامهم سليمة سألت الله تعالى العافية، وعرفت قدر نعمة المشي.

★ **سابعاً:** تمنع وتؤدّب صاحبها من الكبر، بعض الناس يكون فيه عجرفة وعنف مع والديه ومع الناس، فإذا أصيب -ووفقه الله- تتغيّر أخلاقه، وتهذّب آدابه.

★ **ثامناً:** المصائب كفارة للذنوب، فتقدّم أن المصيبة إذا صبر صاحبها فمن ثمارها تكفير ذنوبه كما قال -صلى الله عليه وسلم: «ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أذى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

★ **تاسعاً:** عظيم ثواب المصاب في الآخرة، قال -صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنَزِلَةٌ لَمْ يَنْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ زَادَ ابْنُ نُفَيْلٍ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ اتَّفَقَا حَتَّى يُلْغَهُ الْمَنَزِلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»، وأيضاً قوله -صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدَرٍ نَصَبِكَ وَنَفَقَتِكَ».

★ **عاشراً:** ثمار خفيّة لا يدركها العبد، قد يرى بوادى التوفيق في حياته المستقبلية فيقول: أنى لي هذا! أنا الآن كنتُ على وشك الخسارة أو الموت ثم نجاني الله!

فنقول: قد يكون صبرك في المصيبة واحتسابك وعدم التّسخط على أقدار الله وحسن الظنّ بالله مدّخر لك، والله تعالى يُعطي مَنْ يشاء بفضله، ويمنع مَنْ يشاء بعدله، ولا يظلم ربك أحداً.

★ **الحادي عشر:** محاسبة النفس، بعض الناس إذا ألمّت به المصيبة يبدأ يُراجع نفسه، يقول ابن القيم في كتاب الروح "من أحسن أوقات المحاسبة إذا خلى الإنسان بنفسه عند النوم"، فإذا بدأ الإنسان عند النوم أن يسترجع ويُحاسب نفسه فيعرف أنه قصّر في حق فلان وفلان، فيبدأ ينوي ترقيع الخلل، وسؤال الله الزيادة من فضله.

★ **الثاني عشر:** بعض المرضى يُفيد غيره حتى في مرضه، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]، يأتي أناس يعودونه، فيرون من صبره واحتسابه ورضاه وبشاشته ما يُعطيهم دروساً لهم في مستقبل حياته إذا أُصيب بمصيبة، أو كان أحد الزوّار عنده مصيبة فيقول: هذا على فراش المرض وعنده مرض خطير، ومع ذلك تجد عند الصبر والاحتساب والتّشكّر لله -جَلَّ وَعَلَا- وعد التّضجّر؛ فيُخَفِّف على الزّوّار والعُوداء مصابهم دون أن يشعر هو، وهذا بعكس بعض المرضى إذا دخلت عليه تجد فيه -والعياذ بالله- يأساً وقنوطاً وإحباطاً يزيد الزّوّار ألماً.

★ **الثالث عشر:** أجر العفو على مَنْ تسبب في مصيبة، شخص صدم واحداً بالسيارة، أو أخطأ عليه فضربه، فهذا المصاب قد يعفو عن من اعتدى عليه مع أن له حق، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ ائْتَصَرَ بِغَدٍ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١]، فله حق الانتصار، ولكن من عفا وصفح فأجره على الله، وهو بذلك يستفيد أجر المصاب، ومن اعتدى عليه قد يتأثر بعفوه فيزداد سلوكاً من منهج الصواب. والله تعالى أعلم.

◆ **بعض الناس يقول: أدرك أنّ المصائب يجب فيها الصبر، والرضا له أجر عظيم، ولكن أريد وسائل واقعيّة تجعلني أصبر وأتعامل مع المصائب بهذا الأسلوب بشكل مناسب لي؟**

● يُقال: هناك أمور ثلاثة:

- ✓ **الأول:** قراءة أخبار النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما أصيب به من الأقدار المؤلمة، وكذلك الصحابة، فسترى عجب العجاب، حادثة الإفك لأمناء عائشة، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ابتلي وأُخرج.
- ✓ **الثاني:** أن تُجالس كبار السن، فكبار السن هؤلاء مدارس يا شيخ، ومع الأسف فصولها فارغة، فعندهم من الخبرات من معترك الحياة وخبرة السنين الشيء العجيب.
- ✓ **الثالث:** أن تزور المرضى في المستشفيات، وترى بنفسك وبعين البصر والبصيرة المرضى، وتعودهم وتحدث مهم وسترى عجبًا، ترى شخصًا له يومان في المستشفى ومحبط، وآخر له أشهر ومع ذلك في صبرٍ واحتسابٍ فتستفيد منهم.

وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

